مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ تيموثاوس ٣:١٠-١٥)

يا ولدي تيموثاوسَ إنَّك قد استقريتَ تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبَّتي وصبري* واضطهاداتي وآلامي وما أصابني في إنطاكية وإيقونيَّةَ ولِسترة. وأيَّةَ اضطهادات احتملتُ وقد أنقذني الربُّ من جميعها* وجميعُ الذينَ يريدونَ أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوعَ يُضطهدون* أمَّا الأشرارُ والمُغوُونَ من الناس فيزدادونَ شرًّا مُضِلّين ومُضَلّين* فاستمرَّ أنتَ على ما تعلَّمتَهُ وأيقنتَ به عالماً ممَّن تعلَّمت* وأنَّكَ منذُ الطفوليَّةِ تعرفُ الكتبَ المقدَّسةَ القادرةَ أن تُصيِّركَ حكيماً للخلاصِ بالإيمانِ بالمسيحِ يسوع.

الإنجيل

(لوقا ١٨:١٠-١٤)

قال الربُّ هذا المثَل: إنسانان صعِدا إلى الهيكل ليُصلّيا أحدُهما فرّيسيٌّ والآخرُ عشَّارٌ* فكان

أحد الفريسي والعشار

هذا الأحد ندخل فترة التريودي التي تبتدئ بأحد الفريسي والعشار وتنتهي يوم سبت النور. المرحلة الأولى من التريودي تتألف من أربعة آحاد تكون بمثابة تهيئة للدخول في الصوم الذي يحتوي على محطات مهمَّة هي الآحاد الخمسة التي نعيِّد فيها لتذكار تعليق الأيقونات الموقرة (الأحد الأول)، للقديس غريغوريوس بالاماس (الأحد الثاني)، للسجود للصليب الكريم المحيي (الأحد الثالث)، لأبينا البار يوحنا كاتب سلّم الفضائل (الأحد الرابع)، ولأمنا البارّة مريم المصرية (الأحد الخامس). بعد هذه الآحاد الخمسة يأتي أحد الشعانين والأسبوع العظيم المقدس.

هذا التدرُّج في الصوم الذي نعيشه في فترة التريودي يُقصَد منه التقدُّم رويداً رويداً، وكأننا نصعد أدراج سلّم، لكي نصل في النهاية إلى الذروة التي هي رجاء حياتنا وهدفها، «القيامة».

وبما أن الخطوة الأولى هي مهمة جداً لكي ننطلق إنطلاقة صحيحة، رتبت الكنيسة المقدسة أن يُقرأ في الأحد الأول من التهيئة للصوم مَثَل الفرّيسي والعشار الذي علّمنا إياه الرب يسوع.

كان الفرّيسيون طائفة قديمة معروفة بين اليهود، وكانوا يعملون كل أعمالهم لكي تنظرهم الناس ويُعتبروا أبراراً وفاضلين، وقد اعتادوا أن يخفوا رذائلهم ويتظاهرون بالفضائل. أما العشّارون فكانوا جباةً يجمعون الضرائب، معروفين بسعيِّهم للحصول على الأرباح الناتجة عن ظلم الناس واغتصاب أموالهم. استخدم الرب يسوع في المَثَل الذي أعطاه شخصيتين من هاتين المجموعتين من البشر المتناقضتين بالأفعال وفي نظر الناس، أولاً ليلفت انتباه المستمعين وثانياً ليعلِّمنا أن الله لا يحكم بحسب المظاهر كما يفعل الناس، بل هو ينظر إلى أعماق كل إنسان ولا يرفض المتواضع مهما كانت أفعاله على حسب قول المزمور: «القلب المتخشع والمتواضع لا يرذله الله» (مز ٥٠: ١٧).

نرى في بداية المَثَل الرجلين يتوجهان إلى الله وهذا أمر مغبوط: «إنسانان صعِدا إلى الهيكل ليُصلّيا واحدٌ فرّيسيٌّ والآخرُ عشَّارٌ» (لو ١٨:

العدد ٢٠٠٧/٤

الأحد ٢٨ كانون الثاني

أحد الفرّيسي والعشار

تذكار أبينا البار أفرام السرياني

اللحن الثامن

إنجيل السَحَرْ الحادي عشر

الفريسيُّ واقفاً يصلّي في نفسهِ هكذا أَللَّهمَّ إني أشكرُكَ لأنّي لستُ كسائرِ الناسِ الخطفةِ الظالمين الفاسقين ولا مثلَ هذا العشَّار* فإنّي أصوم في الأسبوعِ مرَّتين وأُعشِّرُ كُلَّ ما هو لي* أمَّا العشَّارُ فوقفَ عن بُعدٍ ولم يُرِدْ أن يرفعَ عينيهِ إلى السماءِ بل كان يقرَعُ صدرَهُ قائلاً أَللَّهُمَّ ارحمني أنا الخاطئَ* أقول لكم إنَّ هذا نزلَ إلى بيتهِ مُبرَّراً دون ذاك. لأنَّ كلَّ مَن رفعَ نفسهُ اتَّضع ومن وضَعَ نفسهُ ارتفعَ.

تأمل

«إذا أردنا أن نعبّر عن شكرنا لله فلنسمع قول الثلاثة الفتية الأبرار: «لأنك عادل في جميع ما صنعتَ بنا وقد خطئنا وأثمنا وجميع ما جلبتَ علينا صنعتَه بحكم حق». فالحق أن الإعتراف بالخطايا هو الشكر لله الضابط الكل. فلنحترس من ذكر أعمالنا الصالحة لأن هذا يسبّب لنا العداوة بين البشر والمقت من الله. كلّما زادت أعمالنا الصالحة فلنقصر في التحدّث عن نفوسنا. وهكذا نتمكّن من الحصول على مجد عظيم عند الله والناس، والأصح أن يُقال: ليس المجد عند العليّ ١٠). مشكلة الفريسي الأساسية هي الكبرياء التي جعلته ينسى أو يتناسى خطاياه ويتذكّر فقط أعماله الحسنة، كما راح يدين باقي الناس رافعاً نفسه إلى مستوى أعلى من باقي البشر. الكبرياء هي أساس كل المشاكل، بسببها سقطت ملائكة، بسببها سقط آدم وحواء في الخطيئة، بسببها نخالف وصايا الرب ونبعد عنا خلاصنا. نتيجة كبريائه، يصبح الإنسان كالفرّيسي، يتذكّر فقط أعماله الحسنة وينسى خطاياه على عكس وصية الرب: «وأمَّا أنتَ فمتى صنعتَ صَدَقَةً فلا تُعرِّفْ شِمالَكَ ما تفعلُ يمينُكَ، لكي تكونَ صَدَقَتُكَ في الخَفاءِ. فأبوكَ الذي يرى في الخفاءِ هو يُجازيكَ علانيَةً» (متى ٦:٣–٤). يسهل على المتكبِّر أيضاً إدانة غيره وذلك لأنه يعتبر نفسه أعلى من باقي البشر وهكذا يقع تحت الدينونة كما يعلّم الرب يسوع: «لا تدينوا لكي لا تُدانوا، لأنَّكم بالدينونةِ التي بها تدينونَ تُدانونَ، وبالكَيلِ الذي بهِ تكيلُونَ يُكالُ لكم» (متى ٧: ١–٢).

من جهة أخرى، تَبَرَّرَ العشَّار بسبب تشبّهه بالسيد. فرغم كل المساوئ التي فعلها تميَّز العشَّار بتواضعه وانسحاقه أمام الله: «وأمَّا العشَّارُ فوقفَ من بعيدٍ لا يشاءُ أن يرفعَ عينيهِ نحو السماءِ، بل قرعَ على صدرهِ قائلاً أَللَّهم ارحمني أنا الخاطئَ» (لو ١٨:١٣). في عيني الرب هناك دائماً ترابط بين التواضع والرفعة، فهو في أكثر من مكان يعد المتواضعين بالخلاص وبالرفعة: «فمَنْ وضعَ نفسَهُ مِثلَ هذا الولدِ فهو الأعظمُ في ملكوتِ السَّمواتِ» (متى ١٨: ٤)، «ومَنْ أرادَ أن يكونَ فيكم أولاً فليكُنْ لكم عبداً» (متى ٢٠: ٢٧)، «أنزَلَ الأعزَّاءَ عن الكراسيِّ ورَفعَ المُتَّضِعين» (لو ١:٥٢). هذا التواضع نراه واضحاً في كل عمل الرب يسوع الخلاصي، فهو أعطانا المَثَل في كل شيء وخاصة في التواضع: «وإذ وُجِدَ في الهيئةِ كإنسانٍ وضعَ نفسهُ وأطاعَ حتى الموتَ موتَ الصليب، لذلكَ رفَّعهُ اللهُ أيضاً وأعطاهُ اسماً فوقَ كُلِّ اسم» (في ٢:٨–٩).

في الخطوة الأولى للتهيئة للصوم، أي حين نبدأ بالتفكير أننا مقبلون على الصوم، شاءت الكنيسة أن يكون التواضع هو منطلق كل أفعالنا، فالصوم كجهاد جسدي مهم جداً للإستعداد للفصح، لكن إن لم يترافق مع التواضع فقد يؤدي إلى هلاك النفس عوض خلاصها. هذه الأهمية الكبرى المعطاة للتواضع نراها في قول للقديس إسحق السرياني: «إني أخاف أن أتكلم عن التواضع كأني أتكلّم عن الله نفسه»، ولذلك نرى التواضع عنواناً لكل فترة الصوم من خلال القطعة الأولى التي ترتل على «يا رب إليك صرخت» في غروب أحد الفرّيسي والعشَّار: «لا نصلّينّ يا إخوة فرّيسياً، لأن من يرفع ذاته يتضع. فلنتذلّل أمام الله متضعين، وبواسطة الصيام نهتف هتافاً عشَّارياً قائلين: أللّهم اغفر لنا نحن الخطأة».

المعمودية والتوبة

في كل مرة نتلو فيها دستور الإيمان «أؤمن بإله واحد...» نعلن إيماننا بـ«معمودية واحدة لمغفرة الخطايا». في المعمودية يولد الإنسان ولادة جديدة بالماء والروح «من فوق» (يو ٣:٧)، وكما أن الإنسان يولد مرة واحدة بالجسد، هكذا أيضاً الولادة الجديدة في المعمودية التي تصيِّرنا أبناءً للملكوت لا يمكن أن تحصل إلاَّ مرة واحدة. تلك ولادة جسدية وهذه ولادة روحية. لذلك نقول إننا نؤمن

فحسب بل جائزة العطاء العظيم. فإذا أردنا أن تكون أعمالنا عظيمة فيجب ألا نعظِّمها حتى تكون عظيمة. هذا ما قاله قائد المئة في الإنجيل الشريف: «يا رب لستُ مستحقاً أن تدخل تحت سقفي» (متى ٨:٨) وبهذا القول استحق الإعجاب أكثر من كل يهودي. وقال أيضاً رسول المسيح: «ولستُ أهلاً أن أُدعى رسولاً» (١كو ١٥: ٩) وبهذا صار أول الرسل وأعلاهم. وهكذا قال معمِّد المسيح: «وأنا لا أستحق أن أحِلَّ سيور حذائه» (لوقا ٣: ١٦) فصار خليلاً للمسيح الخَتَن. لا شيء أحبَّ إلى الله كالذي يحسب نفسه مع الخطأة والأثمة. إذا صفا الماء ظهرت فيه أصغر الأقذار، كما أن أشعة الشمس تُرينا ذرّات الغبار الصغيرة المتطايرة في الهواء التي لم ترها العين قبل دخول الأشعة المذكورة، هكذا النفس البشرية كلّما ازدادت نقاوتها نَفَذَ إليها نور الملكوت السموي فظهرت القذارة وعدم الكمال والعادات الذميمة فيها. مهما حاولنا لا نقدر أن نرفع يدنا المكسورة إلى فوق. فكيف نقدر أن نرفع نفوسنا المحطّمة بالرغبات الكثيرة إلى العلاء؟

بـ«معمودية واحدة». مَنْ اعتمد «باسم الآب والإبن والروح القدس» (متى ١٩:٢٨) أي على اسم الثالوث، لا يمكن له أن يعتمد مرَّة ثانية، والولادة تحصل مرَّة واحدة.

القديس يوحنا الدمشقي يعطي بُعداً لاهوتياً أعمق لمفهوم المعمودية الواحدة. فهو يقول مع الرسول بولس اننا في المعمودية نُدفن مع الرب (كو ١٢:٢)، لذا «فكما ان موت الرب تمَّ مرَّة واحدة، يجب أن تصير المعمودية كذلك مرَّة واحدة... وعليه، ان كل الذين اعتمدوا بالآب والإبن والروح القدس فصاروا عارفين طبيعة اللاهوت الواحدة في ثلاثة أقانيم، إذا اصطبغوا ثانية فهم يجدّدون صلب المسيح، كما يقول الرسول الإلهي: «لأنَّ الذينَ استُنيروا مرّةً وذاقوا الموهِبَةَ السمويَّة وصاروا شُركاءَ الروحِ القدسِ وذاقوا كلمةَ اللهِ الصالحةَ وقُوَّاتِ الدهرِ الآتي، وسقطوا لا يمكنُ تجديدهم أيضاً للتوبةِ إذ هم يصلِبونَ لأنفُسِهم ابنَ اللهِ ثانيةً ويُشهِّرونَهُ» (عبر ٦:٤-٦). إذاً بما «أننا كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته» (رو ٣:٦) لا يجوز تكرار المعمودية لأن الرب مات مرة واحدة على الصليب وقام من بين الأموات، وإلاّ فإننا نكون نصلب المسيح مرَّة ثانية.

ما حقّقه الرب على الصليب هو انه جعلنا «خليقة جديدة» (٢كور ١٧:٥) وصالحنا مع الله، أي اننا نلنا نعمة غفران الخطايا. المسيح «حملَ هو نفسُهُ خطايانا في جسدِهِ على الصليب» (١ بط ٢٤:٢) لأنه هو «حَمَلُ اللهِ الذي يرفَعُ خطيئةَ العالمِ» (يو ٢٩:١). مغفرة الخطايا هذه التي أتمَّها الرب على الصليب تُمنح لنا في المعمودية عندما نقرِّر أن نخلع الإنسان العتيق فينا ونعتمد ونُدفن مع الرب على شبه موته ونقوم معه. لذلك خاطب الرسول بطرس الجموع، يوم العنصرة، قائلاً: «توبوا وليعتمِدْ كلُّ واحدٍ منكم على اسمِ يسوعَ المسيحِ لغفران الخطايا» (أع ٣٨:٢). يقول الدمشقي: «بالمعمودية يمنح غفران الخطايا للجميع بالتساوي. أما النعمة فتكون على قدر إيمان المعتمد وقابليته للتنقيَّة. إذاً فإننا ننال الآن بالمعمودية باكورة الروح القدس، فتصير لنا إعادة الولادة بدء حياة أخرى وختماً لها وضماناً وإنارة».

إذاً في المعمودية نولد من جديد أبناءً للملكوت وتُفتح لنا أبواب الملكوت لندخل ونحيا في شركة مع الله. لكن كما يتعرَّض الإنسان بعد ولادته الجسديَّة لأمراض جسديَّة ويعالجها، وهذا ليس خلقاً جديداً، هكذا أيضاً يتعرَّض الإنسان بعد ولادته الروحية لأمراض روحية سببها الخطيئة فيعالجها بالإعتراف والتوبة والأبوة الروحية، وهذا ليس خلقاً جديداً إنما تجديد للخلق الذي حصل في الولادة بالماء والروح.

في معرض حديثه عن المعمودية التي سيتمّمها الرب يسوع «بالروح القدس والنار» (متى ٣: ١١) يقول المعمدان أنه «قد وُضعتْ الفأسُ على أصل الشجرة. فكلُّ شجرةٍ لا تصنعُ ثمراً جيداً تُقطَعُ وتُلقى في النارِ» (متى ١٠:٣). كأننا به يقول ان الإنسان يُزرع في الملكوت شجرة يوم معموديته، فإذا حافظنا على هذه الشجرة ورويناها ينمِّيها الرب وتُثمر أثماراً صالحة. أما إذا أهملناها تُثمر ثمراً رديئاً ويكون مصيرها النار.

صورة الشجرة مهمة لفهم فكرة التوبة. في كل شجرة هناك بعض الأغصان التي لا تُثمر أو تعطي ثمراً

لا شيء يمهّد السبيل إلى نيل المجد والعلى والشرف كالتواضع. قبل أن يضع الرب يسوع المسيح نفسه لم يكن سوى الهلاك والخراب في العالم. فلما وضع هو الصالح نفسَه نهض بكل شيء إلى السماء. أباد اللعنة، وطئ الموت، فتح الفردوس، أمات الخطيئة، كشف قبة السموات، دفع طبيعتنا إليها، بدّد الضلال، وطّد الحق، منح العالم خيرات لا تُحصى. إن السيد نفسه قبل أن يتواضع بالتجسُّد عرفه الملائكة فقط. فلما تواضع عرفه الجنس البشري كلّه. إن التواضع زاد مجد المسيح ولم ينقص منه شيئاً البتة، لذلك يبشّرنا المخلّص بقوله: «احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لنفوسكم» (متى ١١: ٢٩) لذلك حتى نجد هذه الراحة على الأرض وفي السموات أيضاً فلنوطِّدْ في نفوسنا فضيلة التواضع التي هي أمُّ الخيرات كلها. فبواسطتها وحدها نقدر أن نجتاز بحر هذه الحياة دون مشقّة، ونصل إلى الميناء الهادئ بنعمة المسيح ومحبته للبشر الذي له المجد والملك إلى دهر الداهرين، آمين».

القديس يوحنا الذهبي الفم

رديئاً. هذه الأغصان يقطعها الفلاح في موسم التقليم على أمل أن ينبت مكانها أغصاناً تُثمر ثمراً جيداً. والإنسان المسيحي المعمَّد الذي قرَّ أن يعيش مسيحيَّته ويُثمر ثمراً جيداً، قد يرتكب بعض الأخطاء (يبذّر موهبته) وقد لا يعمل الأعمال الصالحة (يطمر موهبته). كلنا نخطئ. وبما ان المعمودية لا تُكرَّر كما الولادة، فقد وضع لنا الرب التوبة لنجدِّد معموديتنا. التوبة هي أن نقطع الخطيئة التي نرتكبها، عن قصد أو غير قصد، من جذورها - أي أن نتوب - كما يقطع الفلاح الغصن الذي لا يُثمر، على أمل أن تُثمر الأعمال الحسنة ولا نعود إلى الخطيئة مرة أخرى.

قد يلاحظ الفلاح ان غصناً أساسياً في شجرته قد نخره السوس فيقطعه من أساسه و«يطعِّم» الشجرة بغصن جديد يعطي ثمراً أفضل. هكذا على الإنسان المعمَّد الذي يلاحظ ان الخطيئة قد نخرت أحد حواسه أن يقتلع هذا الفساد و«يطعّم» نفسه بتعاليم المسيح ويسهر على الغصن الجديد بالصلاة والصوم والمناولة المقدسة فيُثمر اثماراً جيدة. يغيِّر هذا الإنسان مجرى حياته وتصرفاته، وهذا ما تعنيه التوبة، أن يغيِّر الإنسان فكره وتصرفاته ويعود إلى طريق الرب ليُثمر أثماراً تليق بالتوبة.

من أقوال الآباء

احفظ الإيمان والتواضع داخل نفسك، لأنك بهما تجد الرحمة والمعونة وتسمع أقوالاً إلهية في قلبك، ويرافقك ملاكك الحارس في الظاهر وفي الخفاء. فإذا أردت أن تقتني هذه الأمور فاسلك أمام الله ببساطة لا بمعرفة. ميزة الإيمان البساطة، أمّا التقصي والمعارضة فهما ميزتا التكبر الذي يبعد الإنسان عن الله.

عندما تقترب من الله بالصلاة كن بفكرك مثل النملة وزحافات الأرض والدودة والصبي الألثغ ولا تتكلم أمامه عن أي شيء بمعرفة. اقترب من الله بفكر الطفل، وسرْ أمامه لكي تستحق عنايته الأبوية التي تشبه عناية الآباء ببنيهم. قيل: «الرب يحفظ الأطفال» (مز ١١٤:٦). الطفل يقترب من الحية فيمسكها ويضعها على عنقه ولا تؤذيه. يسير عارياً في أوان الشتاء بينما الآخرون يلبسون ويتلحفون ومع ذلك يدخل البرد أعضاءهم، أما هو فيجلس في البرد والجليد والصقيع ولا يتألم، لأن جسده البريء متسربل بلباس آخر غير منظور منحته إياه العناية الإلهية التي تحفظ أعضاءه النضرة فلا يمسها سوء.

القديس إسحق السرياني

دخول السيد إلى الهيكل

في الثاني من شباط تُعيِّد كنيستنا المقدسة لتذكار دخول ربنا يسوع المسيح إلى الهيكل. للمناسبة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ١ شباط ٢٠٠٧ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢ شباط في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb